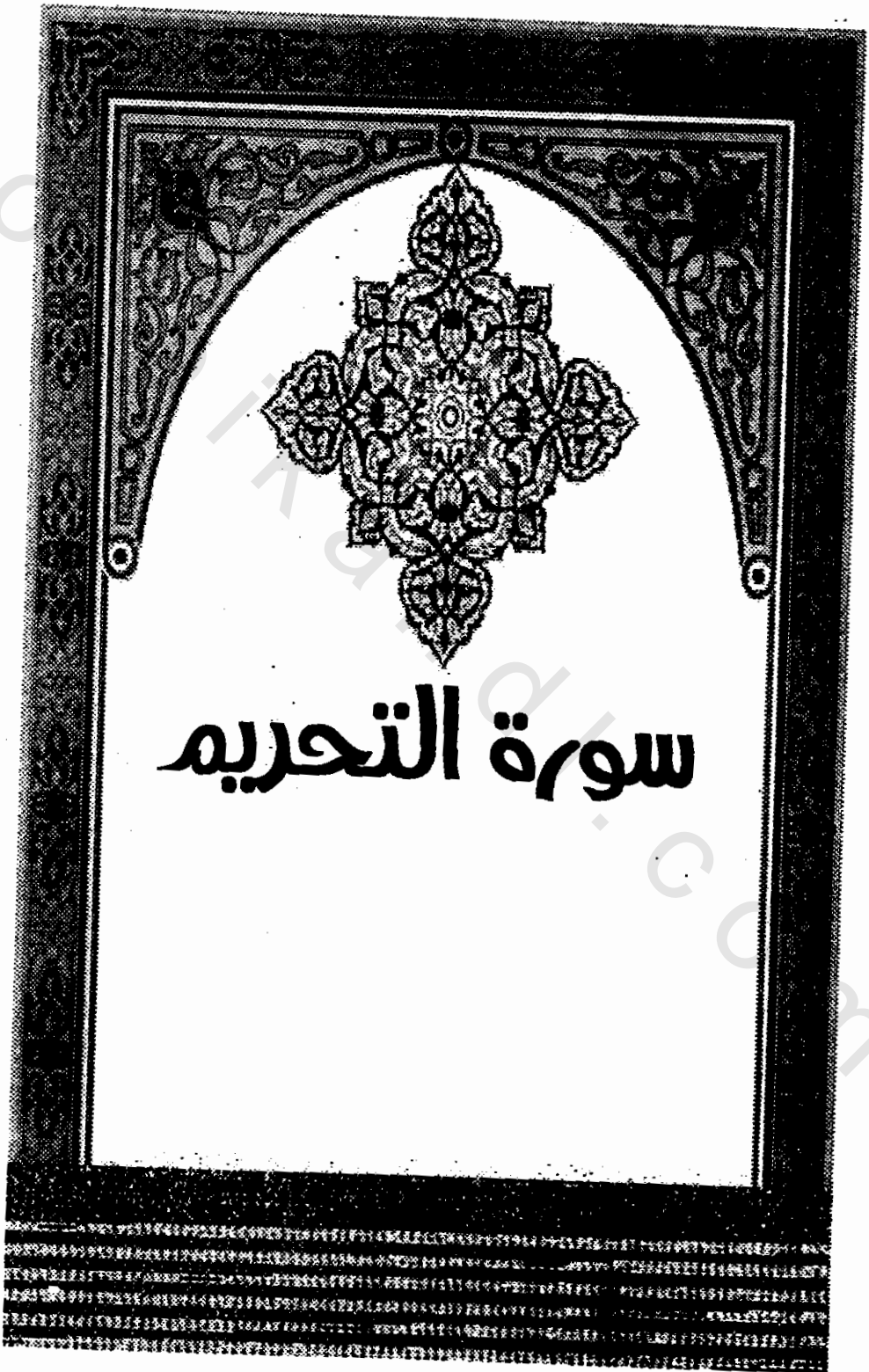
سورة التحريم

﴿ سورة التحريم ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

عتاب لطيف من رب لطيف لنبى شريف ، إذ أنه ﷺ لن يخطر له أن يبتغى مرضات أزواجه على مرضاة الله ربه، فحاشاه ﷺ من ذلك، ولكن كانت هذه دوماً هى غيرته سبحانه على أحبائه وأعزائه، يحذرهم ويعاتبهم على مالم يقترفوه ومالم يخطر ببالهم، لبعدهم عنه، ولعصمتهم فيه، ولكن رأت المرتبة الإلهية أن هذا الصنف من الخلق هم المقربون – أى الطراز الأول والرعيل الأكمل – لابد من تأديب خفى، ولفت نظر جلى، فإنهم حاشاهم من أن يخطر لهم خاطر سوء سواء بالكبيرة أو الصغيرة، ولو كانت فى صغرها وتناهيها كالقطمير والنقير، ولكن أراد الله لهم الحماية من بعيد، غيرة عليهم، وشحا منه أن يعرفهم غيره، أو يتعاطوا هم سواه، أو يقتربوا من محبوب عداه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾

بقطع العلائق ظاهراً وباطنا ممن عداه، والفناء فى محراب أنسه لتراه، وهى توبة الخواص.

وأما توبة خواص الخواص، فهى أن لايخطر ببالك ولو للحظة غيره، وإلا أصبحت من المشركين وأما توبة العوام فهى معروفة.

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴿٨﴾ ﴾

بأن تتضح مقاماتهم وأقدارهم لمن لم يعرفهم فى الدنيا، فسيعرفهم هنالك فى الدار الآخرة، هنالك ستتضح الغيوب، وتتكشف أقدار الرجال، وسيعرف المفسد من المُصلح.

هنالك سينكشف الستار لأهل الحجاب كالوهابية عن من هم الصوفية ومن هم أهل الخرقة؟، والله إن قدم أحدهم فى الميزان لهى أثقل من أهل الأرض جميعاً، كما قال الصادق الأكمل صلوات ربى وسلامه عليه عن رجل ابن مسعود لما سخر منه الصحابة رضوان الله عليهم: ((والذى نفسى بيده إن قدمه فى الميزان أثقل من جبل أحد))

وقد روى الخطيب البغدادى بسنده فى تاريخ بغداد كرامة عظيمة تبين علو قدر الصوفية واتضاح مقاماتهم فى الدار الآخرة وإشراقهم على مقامات الخلق وإعلاء الحق سبحانه لمنازلهم، قال ﷺ فى ترجمة أحمد بن مسروق الطوسى قال: رأيت كان القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى منادٍ: الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفاً فأتأتى ملك عريض جبهته ميل فى ميل فقال: تقدم فصل بالناس فتأملت فإذا مكتوب بين عينه جبريل امين الله فقلت: أين رسول الله؟ قال: مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية، قلت: وأنا منهم؟ قال: نعم لكن شغلك كثرة الحديث.

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

لم يكفهم ما أتوه به من أنوار فطلبوا زيادة أنوارهم.

أقول: وفى هذا نكته إلهية عجيبة، وهى أن ترقيات الحق سبحانه

ومنازلاته وتجلياته على قلوب العارفين لا تنقطع أبداً إلى أبد الأبدين، وذلك لكونه سبحانه لا نهاية لكماله، فهم يطلبون من كماله الأكمل أن يمن عليهم بما اقتضاه علمه فيهم، ويطلبوا الترقية دوماً، حتى بعد الانتقال، وحتى بعد دخول دار الجنان، لكونهم مستهلكين فيه، لم يعرفوا سواه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾

أى حاول إخرجهم من طور ظلماتهم وحجبهم الكثيفة، وانقلهم إلى عالم النور، كى يتحرروا من رق الأغيار إلى شرف الأنوار،إن كان قدر لهم الحق سبحانه ذلك .

﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾

أى قاتل عوالم الظلام بعوالم النور فى تلك الهياكل المنحرفة الشاذة، فهذه هى الغلظة المحمدية، وهى بخلاف الغلظة المعروفة عند عامة الناس، وذلك لكونه ﷺ رؤوفا رحيماً .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وهذا مثال إلهى شريف، لكى يعلم البشر أنه لا مخلوق عزيز عند الله أبداً مهما كان منصبه وشرفه، لا سيما إذا وقع من هذا المخلوق معصية تقتضى عقابه، وإن كان هذا المخلوق زوجه نبى أو ابنه أو والده، فإن العزة الإلهية أعز من كل الأشياء، ولا تنظر حينذاك إلى

عزة الحدث، وإلا قيل لها : ﴿ فَلاَ تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

أقول: وفى هذه الآية تذكرة وتنكر لمن عصى مولاه، وطمع فى حلم الله الزائد وعفوه، وتجاهل عقوبته وانتقامه، من المسرفين على أنفسهم، ونسى أن الله يمهل ولا يهمل .

obeikandl.com